Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمررت بفناء خيمة ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثلَه قطّ حُسْناً وجمالًا . له ذؤابتان كأنهما السَّبجُ المنظومُ، تحت ذلك وَجْهٌ كالقمر ليلة تِمِّه . وعنده امرأة أحْسَنُ منه وأجملُ، وأكثرُ ما أسمع من كلامها (يا بُنَيَّ) ، وهو يَبْتَسِمُ لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعبٌ عذراء، ولا يَرُدُّ لها جواباً من الاسْتحياء. فاسْتَحْسَنْتُ ما رأيت منهما، فدنوت من الخباء، فَبَصُرَتِ المرأةُ بي . ثمّ قالت لى : ياحَضَرِيُّ ، ما حاجَتُك ؟ . فقلت : لاحاجةَ لى إلّا الذى اسْتَحْسَنْتُ مِنْكِ ومِنْ هذا الغُلام . فقالت : أتحبُّ أن أُسْمِعَك شيئاً من خبرِه ، وهو خيرٌ لك من نَظَرِه ؟ . فقلت لها : هاتِى لله دَرُّ أبيكِ . فقالت لى : إنِّى حملته تِسْعَةَ أشْهُرٍ ، فكُنَّا فى عَيْشٍ ضَنْكٍ كَدِرٍ ، ورِزْقٍ نَزْرٍ حقيرٍ ، حتّى إذا شاء اللهُ أن أضعَه، فوضعتُه ــ بحمد الله ــ خَلْقاً سَوِيًّا ، فلا وَأَبيكَ ما هُوَ إلّا أن وضعتُه حتّى منَّ اللهُ علينا ، وأجْزَلَ وسَهَّلَ وتفضّل ، بيُمْنِ وَجْهِهِ وسعادةِ طَلْعَتِه . فسَمَّيْتُهُ (مَالِكاً) ثمّ أرضعته حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ . فلمّا استتمّ الرَّضَاع ، نقلْتُه من المهْدِ بَيْنِى وبَيْن أبيه ، فنشأ بيْننا كأنَّهُ شِبْلُ أَسَدٍ ، نقِيه بَرْدَ الشِّتاء وحر الصَّيْف . فلمّا مرّ عليه خمسةُ أعوامٍ ، دفعته إلى مُؤَدِّبٍ يُعَلِّمُهُ القُرْآن ، فقرأه وتلاهُ ، ونظَمَ الشِّعْرَ ورواه ، حتّى أتمَّ سَبْعَ عَشْرةَ سنةً ، فأركبته عِتَاقَ الخيْلِ فتفرَّسَ ، وَحَمَلَ السِّلاحَ فتشرَّسَ ، ومشى بيْنَ بُيوتِ الحىِّ ، وأصغى إلى صوْتِ الصَّارِخ ، وأناَ خائفةٌ عليْه وَجِلَةٌ مُشْفِقَةٌ منَ الألْسِنَةِ أن تشينه، ومن الألحاظ أن تَعِينه ، حتّى شاء اللهُ أن تُصيبنا سِنُون أجْدَبَتْ بلادناَ، وكاد يهلِكُ كبارُنا وأطفالُنا ، فخرَجْنا إلى مناَهل غير مناهِلنا ، ونزَلْناَ فى غيرِ منازِلِناَ ، فخرَجَ أصحابُنا لطلَبِ ثأرِهم ، وخَلَّفَهُ عن الرُّكوبِ معهم وَجَعٌ أَصَابَه ، فلا وأَبيكَ ما علمْناَ حتّى دَهَمَتْناَ الخَيْلُ مِن العَدُوِّ ، ولم يتولَّنَاَ عَقْلٌ ، ولا هَدَوْناَ . فما كانَ إلّا هنيْهَةٌ حتى حازوا على الأمْوالِ ، وانهزَم الرِّجالُ ، وهُوَ فى البيْت يسألُنى عن الصَّوْتِ ، وأنا أُكاتِمهُ خيفَةً عَلَيْه . حتّى عَلَت الأصواتُ ، وبَرَزَتِ المخبآت . فلما سمِعَ ذلك ثار كما يثور اللَّيْثُ المغضَبُ ، وأسرجَ فرسَه، ثمّ أفرغ عليه لأمةَ حرْبِه، وتقلّدَ سيْفَهُ، واعتقلَ رُمْحَهُ. ثمّ لحقَ العَدُوَّ،